قسم الأخلاق

وأما قسم الأخلاق فهو عشرة أبواب وهى:

الصبر، والرضى، والشكر، والحياء، والصدق، والإيثار، والخُلق، والتواضع، والفتوّة، والانبساط.

باب الصبر

قال الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ... ﴾[1].

الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى.

وهو أيضًا من أصعب المنازل على العامة

وأوحشها فى طريق المحبة

وأنكرها فى طريق التوحيد

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد

إبقاءً على الإيمان ... وحذرًا من الجزاء

وأحسن منها الصبر عن المعصية حياءً.

والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة

بالمحافظة عليها دوامًا

وبرعايتها إخلاصًا

وبتحسينها علمًا.

(١) سورة النحل. الآية رقم ١٢٧.

والدرجة الثالثة: الصبر فى البلاء

بملاحظة حسن الجزاء

وانتظار رَوْح الفرج

وتهوين البليّة بعد أيادى المِنَن

وتذكّر سوالف النِعَم.

وفى هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزلت

﴿اصْبِرُوا﴾ يعنى فى البلاء

﴿وَصَابِرُوا﴾ يعنى عن المعصية

﴿وَرَابِطُوا﴾[1] يعنى على الطاعة.

وأضعف الصبر الصبر لله . . . وهو صبر العامة

وفوقه الصبر بالله . . . وهو صبر المريد

وفوقهما الصبر على الله . . . وهو صبر السالك.

* * * * *

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ٢٠٠، والآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾.

باب الرضى

قال الله عز وجل: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1].

لم يدع فى هذه الآية للمتسخط إليه سبيلا

وشرط للقاصد الدخول فى الرضى.

والرضى اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد

لا يلتمس متقدمًا ولا متأخرًا

ولا يستزيد مزيدًا

ولا يستبدل حالاً.

وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص

وأشقها على العامة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رضى العامة

وهو الرضى بالله ربا

بسخط عبادة ما دونه

وهذا قطب رحى الإسلام

وهو يطهّر من الشرك الأكبر.

والدرجة الثانية: الرضى عن الله عز وجل

وبهذا الرضى نطقت آيات التنزيل

(١) سورة الفجر. الآية رقم ٢٨.

وهو الرضى عنه فى كل ما قضى

وهذا من أوائ مسالك أهل الخصوص.

ويصح بثلاث شرائط:

باستواء الحالات عند العبد

وبسقوط الخصومة مع الخلق

وبالخلاص من المسألة والإلحاح.

والدرجة الثالثة: الرضى برضى الله

فلا يرى العبد لنفسه سخطا ولا رضى

فيبعثه على ترك التحكم وحسم الاختيار

وإسقاط التميز ولو أُدخِل النار.

* * * * *

باب الشكر

قال الله عز وجل: ﴿ ... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾(١).

الشكر اسم لمعرفة النعة لأنها السبيل إلى معرفة المُنعِم

ولهذا المعنى سمّى الله تعالى الإسلام والإيمان فى القرآن شكرا.

ومعانى الشكر ثلاث أشياء:

معرفة النعمة

ثم قبول النعمة

ثم الثناء بها.

وهو أيضًا من سبل العامة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الشكر فى المحاب

وهذا شكر شاركت المسلمين فيه اليهود والنصارى والمجوس

ومن سعة بر البارئ أنه عده شكرًا

ووعد عليه الزيادة

وأوجب له المثوبة.

والدرجة الثانية: الشكر فى المكاره

وهذا ممن يستوى عنده الحالات إظهارُ الرضى

وممن يميز بين الأحوال كظمُ الشكوى

(١) سورة سبأ. الآية رقم ١٣.

ورعاية الأدب

وسلوك مسلك العلم

وهذا الشاكر أول من يُدعى إلى الجنة.

والدرجة الثالثة: أن لا يشهد العبد إلا المُنعِم

فإذا شهد المنعم عبودةً استعظم منه النعمة

وإذا شهده حبا استحلى منه الشدة

وإذا شهده تفريدًا لم يشهد منه شدة ولا نعمة.

* * * * *

باب الحياء

قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾[1].

الحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص

يتولد من تعظيم منوط بود

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: حياءٌ يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه

فيجذبه إلى تحمل المجاهدة

ويحمله على استقباح الجناية

ويُسكنه عن الشكوى.

والدرجة الثانية: حياءٌ يتولد من النظر فى علم القرب

فيدعوه إلى ركوب المحبة

ويربطه برَوْح الأنس

ويكرّه إليه ملابسة الخَلق.

والدرجة الثالثة: حياءٌ يتولد من شهود الحضرة

وهى التى تشوبها هيبة

ولا تقاويها تفرقة

ولا يوقف لها على غاية.

* * * * *

(١) سورة العلق. الآية رقم ١٤.

باب الصدق

قال الله عز وجل: ﴿ ... فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[1].

الصدق اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولا ووجودًا

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: صدق القصد

وبه يصح الدخول فى هذا الشأن

ويُالافى به كل تفريط

ويُتدارك كل فائت

ويُعمَر كل خراب.

وعلامة هذا الصادق أن لا يحتمل داعيةً تدعو إلى نقض عهد

ولا يصبر على صحبة ضد

ولا يقعد عن الجد بحالٍ.

والدرجة الثانية: أن لا يتمنى الحياة إلا للحق

ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان

ولا يلتفت إلى ترفيه الرُّخَص.

والدرجة الثالثة: الصدق فى معرفة الصدق

فإن الصدق لا يستقيم فى علم الخصوص إلا على حرف واحد

(١) سورة محمد. الآية رقم ٢١.

وهو أن يتفق رضى الحق بعمل العبد أو حاله أو وقته

وإتيان العبد وقصده.

فيكون العبد راضيًا مرضيًا

فأعماله إذًا مرضية

وأحواله صادقة

وقصوده مستقيمة.

وإن كان العبد كسى ثوبًا معارًا

فأحسن أعماله ذنبٌ

وأصدق أحواله زورٌ

وأصفى قصوده قعودٌ.

* * * * *

باب الإيثار

قال الله عز وجل: ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾[1].

الإيثار تخصيص واختيار

والأثرة تحسن طوعًا وتصح كرهًا

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تؤثر الخلق على نفسك

فيما لا يحرم عليك دينًا

ولا يقطع عليك طريقًا

ولا يفسد عليك وقتًا.

ويستطاع هذا بثلاثة أشياء:

بتعليم الحقوق

ومقت الشحّ

والرغبة فى مكارم الأخلاق.

والدرجة الثانية: إيثار رضى الله تعالى على رضى غيره

وإن عظمت فيه المحن

وثقلت به المُؤَن

وضعفت عنه الطول والبدن.

---

(١) سورة الحشر. الآية رقم ٩.

ويستطاع هذا بثلاثة أشياء:

بطيب العُود

وحسن الإسلام

وقوّة الصبر.

والدرجة الثالثة: إيثار إيثار الله تعالى

فإن الخوض فى الإيثار دعوى فى المُلك

ثم ترك شهود رؤيتك إيثار الله

ثم غيبتك عن الترك.

* * * * *

باب الخلق

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

الخُلُق ما يرجع إليه المتكلف من نعته

واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم أن التصوف: هو الخُلُق

وجماع الكلام فيه يدور على قطب واحد

وهو بذل المعروف وكفّ الأذى.

وإنما يُدرك إمكان ذلك فى ثلاثة أشاء:

فى العلم.. والجود.. والصبر

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعرف مقام الخلق

أنهم بأقدارهم مربوطون

وفى طاقتهم محبوسون

وعلى الحكم موقوفون.

فتستفيد بهذه المعرفة ثلاثة أشياء:

أمن الخَلق منك حتى الكلب

ومحبة الخلق إياك

ونجاة الخَلق بك.

---

(١)سورة القلم. الآية رقم ٤.

والدرجة الثانية: تحسين خُلقك مع الحق

وتحسينه منك أن تعلم أنّ كل ما يأتى منك يوجب عذرًا

وكل ما يأتى من الحق يوجب شكرًا

وأن لا ترى له من الوفاء بدا.

والدرجة الثالثة: التخلّق بتصفية الخُلُق

ثم الصعود عن تفرّق التخلق

ثم التخلق بمجاوزة الأخلاق.

* * * * *

باب التواضع

قال الله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ...﴾[1].

التواضع أن يتّضع العبد لصولة الحق

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: التواضع للدين

وهو أن لا يعارض بمعقول منقولاً

ولا يتّهم على الدين دليلا

ولا يرى إلى الخلاف سبيلا.

ولا يصح ذلك إلا بأن يعلم أن النجاة فى البصرية

والاستقامة بعد الثقة

وأن البينة وراء الحجّة.

والدرجة الثانية: أن ترضى بمن رضى الحق لنفسه عبدًا ... من المسلمين أخا

وأن لا ترد على عدوك حقا

وتقبل من المعتذر معاذيره.

والدرجة الثالثة: أن تتّضع للحق

فتنزل عن رأيك فى الخدمة

ورؤية حقك فى الصحبة

وعن رسمك فى المشاهدة.

---

(١) سورة الفرقان. الآية رقم ٦٣.

باب الفتوة

●●●●●●●●●

قال الله عز وجل: ﴿ ...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[1].

نكتة الفتوة أن لا تشهد لك فضلا . . . ولا ترى لك حقا

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ترك الخصومة

والتغافل عن الزلة

ونسيان الأذية.

والدرجة الثانية: أن تقرب من يقصيك

وتكرم من يُؤذيك

وتعتذر إلى من يجنى عليك

سماحًا لا كظمًا

وبراحًا لا مصابرة.

والدرجة الثالثة: أن لا تتعلق فى المسير بدليل

ولا تشوب إجابتك بعوض

ولا تقف فى شهودك على رسم.

واعلم أن من أحوج عدوه إلى شفاعة

ولم يخجل من المعذرة إليه

لم يشم رائحة الفتوة.

---

(١) سورة الكهف. الآية رقم ١٣.

ثم فى علم الخصوص

من طلب نور الحقيقة على قدم الاستدلال

لم يحل له دعوى الفتوة أبدا.

* * * * *

باب الانبساط

قال الله عز وجل حاكيا عن كليمه عليه السلام: ﴿ ... **أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ** ... ﴾(١).

الانبساط إرسال السجيّة والتحاشى من وحشة الحشمة

وهو السير مع الجبّلة

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الانبساط مع الخَلق

وهو أن لا تعتزلهم ضنا على نفسك ... أو شحا على حظك

وتسترسل لهم فى فضلك

وتسعهم بخُلقك

وتدعهم يطؤونك

والعلم قائم

وشهودك المعنى دائم.

والدرجة الثانية: الانبساط مع الحق

وهو لا يُجنْبك خوف

ولا يحجبك رجاء

ولا يحول بينك وبينه آدم وحواء.

والدرجة الثالثة: الانبساط فى الانطواء عن الانبساط

وهو رحب الهمة لانطواء انبساط العبد فى بسط الحق جل جلاله.

* * * * *

(١) سورة الأعراف. الآية رقم ١٥٥.